﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: 5]

❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قبلَها:

دعـوةُ الـرَّسـول إلـى الـتَّـوحـيـد سـبـب مـعـاداة المـشـركـين لـه وانشقاقهم عنه

لمّا ذكر النَّظمُ في الآيات السابقة تعزُّزَ المشركين على الحقِّ وانشقاقهم عن الرَّسول ﷺ واتِّهامهم له بالسِّحر والكذب؛ ناسب أن يأتيَ في هذه الآية بما جعلوه مسوِّغًا لذلك، وهو دعوتُهُ لهم إلى توحيد اللّه وترك عبادة ما سواه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عُجَابٌ﴾: (عجب) أصلٌ يَدُلُّ عَلَى كِبَرٍ واستِكبارٍ لِلشَّيءِ، ومنه العَجَبُ: عَجِبَ يَعْجَبُ عَجَبًا، وأمْرٌ عَجيبٌ، وذَلِكَ إذا استُكْبِرَ واستُعْظِمَ[2]، وزَعَمَ الخَليلُ أنَّ بَيْنَ العَجيبِ والعُجابِ فَرْقًا، فأمّا العَجيبُ والعَجَبُ مِثْلُهُ، فالأمْرُ يُتَعَجَّبُ مِنهُ، وأمّا العُجابُ: فالَّذي يُجاوِزُ حَدَّ العَجيبِ، وذَلِكَ مِثْلُ الطَّويلِ والطِّوالِ، فالطَّويلُ في النّاسِ كَثيرٌ، والطِّوالُ: الأهوَجُ الطّويلِ[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

المـشـركـون يـقـبـلـون تـعـدُّدَ الآلـهـة، ويرفضون عبادة إلهٍ واحدٍ

تبيِّنُ الآيةُ الكريمة أنَّ المشركين أنكروا ما دعاهم إليه رسول اللّه ﷺ في مجلس عمِّه أبي طالب مِن توحيد اللّه، وترك عبادة ما سواه مِن الآلهة المزعومة، وأنَّهم أجمعوا على أنَّ عبادةَ إلهٍ واحد أمرٌ في غاية العجب والإنكار؛ لكونهِ على خلاف ما ألفوهُ، ودرجوا عليه من التَّقليد، الَّذي أعماهم عن النَّظر الصَّحيح والفكر السليم، فتمسَّكوا بما وجدوا عليه آباءهم، وقاسوا الأمور الحيَّة الَّتي هي

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 328، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 209.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عجب).
(3) الفراهيدي، العين: (عجب).

في مُكنة الفرد منهم، فرأوا أنَّه يستحيل عليه القيام بمطالب هذا الكون، فقالوا بتعدُّد الآلهة، وتعجَّبوا مِمَّن يقول بوحدة الإله[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

السَّبب في فصل الآية عمّا قبلها:

جاءت جملة: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ﴾ مفصولةً عمّا قبلها؛ لأنَّها بمنزلة البيان لها[2]، ما يعني أنَّ السَّبب في فصلهما هو كمالُ الاتِّصال، الذي تُنَزَّلُ فيه الجملةُ الثّانيةُ من السّابقة عليها منزلةَ التّابع من المتبوع، فتُفصَلُ عنها لما بينهما من الاتِّصال المعنويِّ، الذي يستغنيان به عن الواصل اللَّفظي، وحسَّن الفصلَ بينهما كذلك اختلافُهما خبرًا وإنشاءً، فيكمل انقطاعُهما لفظيًّا، لكنَّهما يتَّصلان معنويًّا.

اتَّهم المشركون الرَّسول بكلِّ أنواع التُّهم

الغرضُ مِن الاستفهام في قوله: ﴿أَجَعَلَ﴾:

الهمزة في قوله: ﴿أَجَعَلَ﴾ للاستفهام الإنكاريِّ التَّعجُّبيِّ[3]، الذي يَقصد به المشركون إنكارَ ما دعاهم إليه رسولُ الله ﷺ من إفراد الله تعالى بالعبادة وترْكِ الآلهةِ الَّتي يعبدونها من دونه، يُضاف إلى ذلك ما يمتاز به أسلوبُ الاستفهام من إثارة المتلقّي وتحريكه إلى التفكُّر في مضمون الكلام؛ لعلَّه يقتنع بحجَّتهم، ويؤازرُهم في رفضهم وإنكارهم.

التَّعجُّبُ والإنكارُ هو جوابُ المشركين عند الدَّعوة إلى التَّوحيد

دلالةُ التعبير بالفعل: (جَعَلَ):

تعبيرُ المشركين بالفعل: (جَعَلَ) الدالِّ على التَّصيير والتَّحويل[4] فيه إشارةٌ إلى أنَّ ما يدعوهم إليه الرَّسول ﷺ من توحيد الله، وترْكِ عبادةِ الآلهة التي اتَّخذوها من دونه لا يعدوا أن يكون زعمًا خارجًا عن المألوف، مخالفًا للواقع الذي وجدوا عليه آباءهم وأجدادهم،

الدَّعوةُ إلى التَّوحيد خارجٌ عن المألوف مخالفٌ للواقع في زعم المشركين

(1) حجازي، التفسير الواضح: 3/ 231.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 210.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 210.
(4) الراغب، مفردات القرآن: (جعل).

ومِن ثَمَّ لا يمكنهم قَبولُهُ بسهولة، أو التَّسليم له به على الفور؛ لأنَّ ذلك في الفعل محالٌ[1].

دلالةُ إسنادِ فعل الجعل إلى ضمير الرسول:

الدَّعوةُ إلى التَّوحيد مِن مخترعات الرَّسول في زعمهم

إسنادُ الكافرين فعلَ الجعْلِ إلى ضمير الرَّسولِ في قولهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ﴾ فيه دلالةٌ على أنَّهم يعتقدون أنَّ تلك الدَّعوة من أفكار الرَّسول وأقواله، وليست وحيًا أوحاه الله تعالى إليه، وبذلك يؤكِّدون اتِّهامهم له بالكذب والافتراء على الله.

نوع (ال) ومعناها في المفعول الأول:

تعدُّدُ الآلهةِ وكثرتُها ممّا ألفه المشركون وعهدوه

(ال) في المفعول الأوَّل لفعل الجعل: ﴿ٱلْآلِهَةَ﴾ يمكن أن تكونَ لتعريف العهد، والمعنى: أجعل الآلهة التي عهدناها كثيرةً متعدِّدةً إلهًا واحدًا، لا يُعبد أحدٌ معه، ولا يساعده في تدبير أمورِ الكونِ غيرُه؟ ويمكن أن تكون لتعريف الجنس، والمعنى: أجعل الآلهة كلَّها إلهًا واحدًا، لا أحد معه، ولا شريك له؟.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمفعول به الثاني مفردًا نكرةً:

الكافرون يعتقدون عدمَ قدرةِ إله واحد على فعل كلِّ شيء

عبَّر المشركون بالمفعول الثاني: ﴿إِلَٰهًا﴾ مُفردًا نكرة، لما يفيده الإفراد والتَّنكيرُ من جعل الرَّفض مقبولًا، والإنكار مستساغًا، لما يوحي به من عجز ذلك الإله وعدم قدرتِهِ على القيام بما تقوم به جموعُ الآلهةِ، والمعنى: "كَيفَ يكونُ إلَهٌ واحِدٌ يَرزُقُ الجَميعَ، ويَنظُرُ في كُلِّ أُمورِهِم؟"[2].

سرُّ وصفِ المفعول بـ ﴿وَٰحِدًا﴾:

عبادةُ إلهٍ واحدٍ أمرٌ غير معهودٍ لدى الكافرين وغيرُ مُستَساغ

وصفُ المفعول ﴿إِلَٰهًا﴾ بـ ﴿وَٰحِدًا﴾ دلالةٌ على زيادة عجب الكافرين وشدَّة اندهاشهم مِن دعوة الرَّسول إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، ونبذ الآلهة الَّتي وجَدوا آباءهم وأجدادهم عاكفين على

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 73.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 138.

عبادتها، والمعنى: أنترك عبادةَ تلك الآلهةِ كلِّها، ولا نعبدُ إلّا إلهًا واحدًا فقط؟.

نكتةُ فصلِ قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ ودلالته:

الدَّعوة إلى التَّوحيد أمرٌ يَتَعَجَّبُ منه من انتكست فطرته

لمّا اتَّهم الكافرون رسولَ الله ﷺ بالسِّحر والكذب، وبيَّنوا ذلك بدعوته لهم إلى توحيد الله، وترْكِ عبادة ما سواه؛ جاؤوا بهذه الجملة لتكون علَّةً لكلامهم، والمعنى: إنَّ هَذا الأمرَ يُتَعَجَّبُ مِنهُ، كَما يُتَعَجَّبُ مِن شَعوَذَةِ السّاحِرِ[1]، فالفصلُ هنا إمّا لكمال الاتِّصال؛ لأنَّها علَّة الاستفهام، أو لشبه كمال الاتِّصال؛ لأنَّها جاءت جوابًا عن سؤالٍ مُقدّرٍ: لماذا هذا الإنكار عليه؟.

الغرضُ مِن تتابُعِ المؤكِّدات:

المشركون يسعون لإقناع الآخرين بصواب ما ذهبوا إليه

جاءت جملة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ مؤكَّدةً بـ﴿إِنَّ﴾ واللام والجملة الاسميَّة؛ للدَّلالة على أنَّ عجبَ الكافرين وإنكارهم دعوةَ الرَّسولِ إلى التَّوحيد بلغ مبلغَ العقيدةِ الَّتي لا شكَّ فيها، ولا تراجع عنها، ما يفيد أنَّ كلامَهُ لن يؤثِّر فيهم، ووعودُهُ لن تُرَغِّبَهم، وتخويفَه لن يزحزحهم عن عبادة ما وجدوا عليه آباءهم.

وثمَّ أمرٌ آخر يدلُّ عليه مجيءُ كلامهم مشتملًا على هذه المؤكِّدات، وهو أنَّه لمّا كان الكلامُ في الإلهيَّة الَّتي هي أعظم أصول الدين، وكان ﷺ وكلُّ مَن تبعه، بل وكلُّ منصف ينكرون أن يكون هذا عجبًا، بل العجبُ كلُّ العجبِ ممَّن يقبل عقله أن يكونَ الإله أكثر مِن واحد؛ أكَّدوا قولهم لذلك، وإعلامًا لضعفائهم وتثبيًا لهم بأنَّهم على غاية الثِّقة والاعتقاد لما يقولون، ولم يزلزلْهُم ما رأوا من منذرِهم من الأحوال الغريبة الدالَّة على صِدقه[2].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 210.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 328، 329.

الغرضُ من التَّعبير باسم الإشارة:

الاستهانةُ بالمشار إليه والتَّقليل من شأنه

قولُ الكافرين: ﴿هَٰذَا﴾ اسم إشارة أرادوا به: دعوةَ الرَّسول إلى التَّوحيد، التي عبروا عنها بجملة: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾، وغرضُهم من التَّعبير به الاستهانةُ بهذه الدَّعوة، والتَّقليلُ من شأنها، والحثُّ على الإعراض عنها، وعدمِ الإصغاء لها، يُزادُ على ذلك الدَّلالة على جدارة المسند إليه بما أخبر به عنه، وهو كونُهُ أمرًا بالغًا في العَجَب والاستغراب مبلغًا لا نظيرَ له، ولا شبيهَ به.

الغرضُ مِن تنكير الخبر: (شَيْءٌ):

التَّعبيرُ في الخبر بلفظ: (شَيْءٌ) نكرة فيه كذلك تحقيرٌ للمسندِ إليه وتهوينٌ مِن شأنه، وتأكيدٌ للدَّعوة إلى الإعراض عنه، كأنَّه أمرٌ غيرُ ذي بالٍ.

دلالةُ تقييدِ الخبر بوصف: ﴿عُجَابٌ﴾:

الدَّعوةُ إلى التَّوحيد أمرٌ بالغ الغاية في العَجَب عند المشركين

في وصف الخبر بقولهم: ﴿عُجَابٌ﴾ دلالةٌ على أنَّ الدَّعوة إلى التَّوحيد الذي ندبهم إليه رسولُ الله أمرٌ بالغٌ الغاية في العَجَب وعدم الاستساغة، ولا مثيل له في ذلك؛ لأنَّه على خلافِ ما ألِفوا عليهِ آباءَهم، الذينَ أجمعوا على ألوهيَّتِهم، وواظَبوا على عبادتِهم، كابرًا عن كابر، فإنَّ مدارَ كلِّ ما يأتون وما يذرون من أمورِ دينِهم هو التَّقليدُ والاعتيادُ، فيعدّون ما يخالفُ ما اعتادوه عجيبًا، بل مُحالًا[1].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 329.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»